الآليات اللغوية و البلاغية و وظيفتها الحجاجية في شعر عامر شارف

Linguistic and rhetorical mechanisms and their argumentative function in the poetry of Amer Sharif

صفية طبني

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، safia.tobni@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/19 تاريخ القبول: 2023/06/14 تاريخ النشر: 2023/06/18

الملخص:

يعتمد الخطاب على وسائل وآليات تساعد في وضوحه ، وتبعث على تأدية المعنى المراد بأحسن صوره ، فيلجأ المتكلم إلى اضفاء مسحة جمالية وقيم أسلوبية تثري خطابه وتزيده قوة مساعدة بذلك المتكلم على ابراز القيم الحجاجية لخطابه ، وكذا تلك الوسائل اللغوية والألفا المناسبة للوصف والاخبار ، وكلها تزيد من قوة الاقناع لكسب تصديق المتلقي ولفت انتباهه من أجل استمالته والتأثير فيه

الكلمات المفتاحية: الوصف ، البلاغة ، وظيفة ، *الحجاج* ، شعر .

Abstract

The discourse relies on means and mechanisms that help in its clarity, and lead to the fulfillment of the intended meaning in its best form, so the speaker resorts to imparting an aesthetic tinge and stylistic values that enrich his discourse and increase it with a force that helps the speaker to highlight the argumentative values of his discourse, as well as those linguistic and alpha means that are suitable for description and news, all of which increase The power of persuasion to gain the recipient's credibility and draw his attention in order to win him over and influence him

Key words: the description, rhetoric, Function, argument, Poetry.

المؤلف المرسل: صفية طبني ، **الإميل:** safia.tobni@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

يمثل الحجاج مجالا غنيا من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الأخرى ، وهو مبحث تداولي له توجهات منطقية وفلسفية ، وله وظيفة كغيره من عناصر التواصل التي يعتمدها الانسان في كلامه ، كون الفرد يبرهن ويحاجج غالبا ،علاوة على ابداء رأيه من خلال الوصف والاخبار وبذلك يصبح الحجاج ملازما للخطاب كوظيفة مهمة كما هو الاخبار ، ويمنح الخطاب بعدا اقناعيا يساعد في اظهار فعالية المعطيات الخطابية التي تساهم في سيرورة الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الاقناع والإفحام معا ،مهما كان متلقي هذا الخطاب ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك (الباحثين، 2010، صفحة 30) ،وقد انبثق الحجاج من حقل المنطق و البلاغة الفلسفية إذ يرتبط مفهومه بالفعل وهو بحث من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة و ممكنة بهدف دفع فاعلين معنيين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما فهو . كما يبدو . يقوم في مفهومه على صناعة الجدل و الخطابة بل إن من الدارسين حديثا من عده خطابة جديدة (بوجادي، 2009، صفحة 105)

2. الحجاج مفهومه وقضاياه :

اهتم القدماء بالحجاج منذ التراث اليوناني، إلا أنه اليوم موضوع دراسات كثيرة في حقل الفلسفة و اللغة واختلفت تعريفاته تبعا لاختلاف توجهات الدارسين المهتمين بمباحثه المختلفة، وهو يمثل منهجا للتواصل و بلوغ المعرفة الصحيحة.

و يعرف الحجاج في اللغة: فيقال: حاججته أحاجه حجاجا و محاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... و الحجة : البرهان؛ وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ، و قال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... و جمع الحجة حجج و حجاج و حاجه محاجة و حجاجا : نازعه الحجة... و احتج بالشيء: اتخذه حجة ، قال الأزهري : إنما سميت حجة لأنها تحج أي : تقصد لأن القصد لها و إليها ... و الحجة الدليل و البرهان (منظور، د ت ، صفحة 288)

و يظهر الحجاج في بنية اللغة، فالمتكلم يستخدم الوحدات اللسانية ، حسب ما يريد إبلاغه من أفكار و بين هذه الوحدات وفقا لأغراض التواصل المختلفة ، من هنا تظهر بلاغة الحجاج و غايته ، فالمتكلم ينتظر من المخاطب حركة كردة فعل تنسجم مع المقاصد

التي يريدها و فقا للسياق أو المقام ، و الحجاج من أرفع العلوم قدرا و أعظمها شأنا ، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال و تمييز الحق من المحال و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة و لا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم و لا المعوج من المستقيم (الباجي، 1987، صفحة 8) ، إذن فغاية الحجاج معرفة السقيم من الصحيح و البحث و التمييز بين ما هو صحيح أو حقيقي و ذلك المجال .

و الحجاج سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة عرض الأدلة و تقديمها (بوجادي، 2009، صفحة 87)

فالمتكلم يدعم قوله بالحجج و البراهين لإقناع من يستمع له ، لأن لكل خطاب هدف ، و الفهم و الإقناع هو هدف كل خطاب .

و تلخص مباحث الحجاج حديثا في أعمال بيرلمان و تشيكا فلقد أسهمت بحوثهما في بحث جوانب عميقة من البلاغة بوصفها تأملا في اللغة و الفكر لا سيما من خلال كتاب . شايم برلمان في 1958، بعنوان (البلاغة الجديدة) و كتاب آخر ألفه بالاشتراك مع تشيكا بعنوان (دراسة الحجاج) (بوجادي، 2009، صفحة 106) و قد توجهت الحجاجيات من خلال أعمال اللسانيين المحدثين توجهات تداولية ، فقد عرفه بيرمان و تشيكا في كتابهما بقولهما : موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم (صولة، 2011، صفحة 13) و الحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد إلى تناول حقائق متعددة و متدرجة ، فمبعثه . إذا. هو الاختلاف ، و شرطه أن يقوم على موضوعية الحوار ، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون ، لا موقف الخصم العنيد ، من أجل تحقيق غاية و هي استمالة المتلقي لما يعرض عليه ، و أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها ، و أن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه و خيالاته و إقناعه (بوجادي، 2009، صفحة 107)

يعتبر مفهوم الحجاج من المفاهيم التي تثير التباسا للباحث ؛ لصعوبة ضبط مفهومه ، و يعود ذلك لعدة عوامل أهمها: (آعراب، 2001، صفحة 30)

. تعدد مظاهر الحجاج و تنوعها .(الحجاج الصريح ، الحجاج الضمني ،...الخ).

. تعدد استعمالات الحجاج و تباين مرجعياتها : الخطابة ، الخطاب ، القضاء ، الفلسفة ، ...الخ.

. خضوع الحجاج في دلالته إلى ما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخوة و ليونة تداولية ، وكذلك من تأويلات متجددة ، و طواعية استعماله، أما خصائص الحجاج فتتمثل في : (الدريدي، 2008، الصفحات 26-27)

- الحجاج يتميز بأنه يتسم بسمة القصدية، فهو يتميز بالقصد المعلن كونه يهدف إلى إحداث أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة.
- النسبية أي أن الحجة يجب أن تتميز بالقوة لتأكيدها وقبولها فترتبط كل حجة بنتيجة معينة.
- الحجاج يتوجه إلى مستمع كونه عبارة عن تواصل وتجادل بين شخصين.
- لغة الحجاج لغة طبيعية.
- الحجاج يتسم بسمة البرهنة، كونه قائم على الحجج والأمثلة وكل تقنيات الإقناع.

ونجد أن الباحثين أضافوا سمة أو خاصية أخرى عبروا عنها بالحوارية أو التحاورية، فالحجاج في جوهره عبارة عن حوار مع المتلقي حوار يقوم ما بين شخصين الملقي والمتلقي

لا نريد الخوض في التعريفات المختلفة لهذا الموضوع بقدر ما يهمنا تبيان أهم استعمالاته في داخل اللغة من أجل تبيان الجانب الإجرائي لهذا المفهوم من خلال جمع الأدلة التي يعتمدها المحاجج لطرح رأيه و تبيان مقصده من خلال كلامه ، و تطبيقها لذلك سيكون في بعض قصائد عامر شارف لما لمسنا فيها من آليات لغوية و أخرى بلاغية كجانب مهم في تبيان ما نصبو إليه .

3 . مرتكزات الحجاج:

يرتكز الحجاج على النص من خلال ترابط مكوناته، الهدف منها الاقناع؛ إذ يعتمد فيه على وظيفة ربط عناصر الخطاب وبنائه ويتكئ في ذلك على عنصرين هما : (شارودو، 2009، صفحة 17)

1-العقل الاستدلالي: يراد به ذلك النهوض القائم على آلية تتصل اساسا بإقامة روابط سببية مختلفة بين قولين او عدة أقوال ، وهذه الروابط تقوم من خلال أساليب هي

شاهدة على ما نسميه انتظام المنطق الحجاجي ، الذي تتعلق مكوناته في الوقت نفسه بالمعنى الذي تتضمنه هذه الأقوال

2-العقل الاقناعي : اساسه إقامة الدليل بواسطة الحجج التي تبرر الأخبار الحاصلة في العالم ،والروابط السببية التي تظهر الأقوال فيما بينها ، وترتبط هذه الآلية خاصة بأساليب الاخراج القولي للفاعل المحاجج

4 . آليات الحجاج :

يعتمد الحجاج على مجموعة من الآليات المختلفة والتي تساعد المتكلم في صوغ حججه من أجل التأثير في المتلقين من هذه الآليات:

4. 1. الآليات اللغوية:

وهي تلك المفردات أو الأدوات اللغوية التي يستعملها المتكلم(المخاطب) لتركيب خطابه الحجاجي و بناء حججه فيه و منها :

1. الأفعال اللغوية : يستعملها الشاعر بالتراتب و حسب ما يراه ويقصده و تحديد ما يصبو إليه من وجهة نظر ، و تحديد موقفه إن كان تأكيدا أو ادعاء ، و يستخدمها المتكلم لخدمة وجهة نظره ، لتأكيد صحة موقفه ، و من أمثلة شاعرنا تباينه في قصيدة ((درر البوح)) عندما يقرر و يقر عن حالته ، حالة العذاب التي يعيشها من تلك الأنثى التي تمكنت منه باللين ، و كلما نسجت له حجة المغلوب نسج لها حجة الغالب ، فتضمن النسج و التلذذ بالألم الذي ألم به ، ويقول :

وتدفقت همسا رقيقا مدهشا

ألما شهيا فائق التصويب (شارف، 2008، صفحة 10)

يرغب الشاعر في هذه القصيدة بالتعبير عن وجهة نظره و قد لعب السياق دورا كبيرا في صياغة الخطاب و تقنياته ، فإذا عرفنا موضوع الخطاب و بمحيطه سواء الثقافي أم النفسي أم الاجتماعي ، برزت لنا تلك الأبعاد الحجاجية للأفعال المستعملة فيه ، كذا علاقة هذا المتكلم (الشاعر) بالمخاطب و هنا تظهر جليا ملامح الحجاج فالمستمع هو الذي يحددها ، لأن المخاطب يستعمل مقدمات و مبررات انطلاقا من تصوره لطبيعة المخاطب ، الذي بدوره تكون له ردود أفعال تغير من مسار الحجاج كما نرى في قول الشاعر :

لا حول لي هي فيلسوفة حبها

تغتالني بأنوثة الحبوب

إلى أن يقول :

و تعرم القلب المعذب متعبا

يتجرع الإيلام بالمقلوب (شارف، 2008، صفحة 11)

فقد خضع الشاعر إلى مصيره ، كما سنته الأفعال : تغتالني ، تعرم ، يتجرع ، وهي أفعال إخبارية تقريرية لأنها مآله على أغلب الأحوال ، و هنا تظهر مقصدية الشاعر التي يحاول منذ البداية الإقرار من خلال أفعاله الوصول إلى هذه النتيجة ، و يظهر أيضا في الأفعال الإنجازية (كفعل الأمر و النهي و من أمثلة ذلك النداء (أنظر الصفحة 7) فالشاعر هنا نقل تصوراته للمستمع وبذلك يتعدد الخطاب ،فيحتاج إلى التأثير والاقناع وبالتالي يصبح الحجاج واجبا ،فالحجاج لا ينحصر في استعمالات خطابية ظرفية وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الاطلاق (آعراب، 2014، صفحة 100)

2 . الوصف : من الأدوات اللغوية التي يستعملها المحاجج ، وهي نعوت يطلقها المتكلم لإقناع المستمع ، و تكون بعدة مفردات من بينها : الصفة و اسم الفاعل ، كقول الشاعر :

آملا ... آملا أن أراها قمر

عندما تشتهي مرة أن تمر (شارف، 2005، صفحة 5)

و قد صدر هذه القصيدة بعنوان على صيغة اسم الفاعل (آملا) ، و في هذه الحالة شكلت هذه الصيغة للشاعر حجة ، فهي تمثل قصده من خلال إصدار حكم أراده هو و تلك كانت النتيجة التي يريدها ، و قد زادها و ضوحا تكرار هذه الصيغة (آملا) ، فقد ترددت أكثر من مرتين في القصيدة مما زاد الحكم ثبوتا على المتكلم والشاعر يعمل على تقوية خطابه من خلال استعماله خطابا شعريا يعتمد على استعمال الكلمات في سبيل الاقتراب من الأشياء بحد ذاتها ،إنه يعالج الكلمات من حيث هي اشارات لأشياء أخرى ، فالكلمة عند الشاعر تكسب خطابه حياة خاصة به تحلق بنفسها في عالمها الصغير كذلك (مولينيه، 1999، صفحة 17)

4. 2 الآليات البلاغية:

يقصد بها تلك الأدوات المجازية والصور المختلفة مثل الاستعارة والكناية وألوان البديع من المحسنات البديعية ،كلها مسموحة للشاعر حتى يعبر عما يصبو إليه لأن في

ذلك اثبات لحججه ،فالآليات البلاغية تهتم بكل صور الكلام التي تعتمد على الصور البلاغية والتي تساعد على تأدية المعنى بأسلوب جميل يخضع إلى جماليات تلك الصور والبيان ،وتتبني على نظام وآليات حجاجية وظيفتها التأثير والاقناع ،ونجاح الحجاج في ذلك متوقف على معرفة من نخاطب فنحاجج ، وسوف نمثل لذلك بالاستعارة ،وتسمى الاستعارة الحجاجية وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ،مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ،وذلك لإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به وذلك لأن المستعار منه يجمع أكثر من صفة وفي هذا ايجاز شديد وتجسيد واضح بمقصده (الشهري، 2004، صفحة 410)

والاستعارة من أقوى الآليات الحجاجية ،لأن تقديم المعنى على هذه الحالة وبهذه الصورة البيانية يجعل المتلقي يتبين أهميته على خلاف ما يعطيه المعنى الحقيقي ،والشاعر هو منتج الخطاب لذلك له دور هام في تحديد مقاصد الخطاب ،وهو من العناصر الأساسية في النظريات السياقية التي تشكل دلالة النص ،فهو العالم بحال الخطاب المختلفة من سياق إلى سياق (بوجادي، 2009، صفحة 164) ، أما عبد القاهر الجرجاني فيعتبر الاستعارة مهمة وضرورية يقول عن الاستعارة: إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الاسم ، وإذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت أن الذي قالوه عن أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ونقل لما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه ، لأنه إذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرا عليه (الجرجاني، 2004، صفحة 437)

ومن أمثلة الاستعارة في شعر عامر شارف قوله:

توجت بالشعر من أهوى فأشعلني نهر الحنين وأغوتني الأقاويل

(شارف، 2008، صفحة 13)

فالشاعر هنا بصدد وصف واخبار عن مشاعره معبرا عن حنينه واشتياقه ، مستعملا الاستعارة المكنية للتأثير في السامع ،وذلك من خلال انصهار المشبه في المشبه به ، فقد شبه الحنين بالنار التي تشتعل وهو تصور مبالغ فيه ولكن ذلك من أجل استمالة المتلقي لما يحسه واشراكه معه في الحنين ، وهنا تظهر حجاجيه الاستعارة ؛ إذ تعد عاملا رئيسا في

الحفز والحث وأداة تعبيرية ومصدرا للترادف وتعدد المعنى ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية الحادة (العدوس، 1997، صفحة 11)

وفي قوله أيضا :

والفجر لا يستحي من ليله أبدا والليل لا يستحي من عالم الغسق

(عامر، 2005، صفحة 23)

ففي هذا المثال يعتمد الشاعر التلميح والذي ينصب على سمات المستعار منه الدلالية، وهنا استعار الحياء وهو سمة خاصة بفئة معينة ،فهي خاصة بالإنسان ولكن ليس كل الناس، بل أفرادا فقط لهم ميزات خاصة ،لذلك فاستعماله هذا الهدف منه تغيير موقف لاحظه حول المتلقي محاولا التغيير فيه ،فقد حاول بشتى الطرق استمالة المتلقي ولفت انتباهه، والاستعارة تساعد المتكلم في توسيع مجال اختياراته فيختار ما يريد ومتى أراد من الألفاظ دون شرط أو قيد، فتظهر للشاعر ذوات أخرى غير ذاته بسبب تلك الاستعارة التي أضفت على ذاته هذه الصفة ، لأن الشاعر يصبح محاورا لنفسه ، فينبعث بذلك التأويل من خلال النظر إلى المعنى الحقيقي ،وتكمن فعالية الاستعارة مع التناسب ومع ما يقتضيه السياق ؛إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات اللغوية، ويظهر التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه وبذلك تكون الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك همة المرسل إليه إلى الاقتناع، فالمرسل إليه عند تقويمه للواقع والسلوك يحتاج أن يتعرف إلى المرسل ليكون سبب القبول والتسليم وليس التخيل أو الصنعة اللفظية (الشهري، 2004، صفحة 497)

5. خاتمة:

من خلال تحليلنا لقصائد الشاعر عبر مجموعة من الآليات التي انطلقت من اللغة والولوج إلى عالم البلاغة ،مركزة على بعض المرتكزات الحجاجية التي ساعدت في توضيح القصد ، وكذا تقوية المعنى، فقد توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها

– اللغة المستعملة من الشاعر على درجة كبيرة من لمس الواقع ، فقد حققت غايات التخاطب الحجاجية

– استعمال المجاز دليل على قوة المتكلم وقدرته على استمالة المتلقي والتأثير فيه

– تساعد الاستعارة على الانتقال من التجريد إلى المحسوس ،وبذلك تزيد في قوة المحاجج ، من خلال تجسيد ذلك المحسوس وتقريبه إلى الواقع ، وقد اعتمدها الشاعر كآلية قوية في التعبير عن مكنوناته وتوضيح مشاعره

6. قائمة المراجع:

- باتريك شارودو ،الحجاج بين النظرية والأسلوب ، ترجمة أحمد الدردي ،دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، القدس فلسطين، ط 1 ، 1429هـ/2009م
- جورج مولينيه ، الأسلوبية ، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ، د ط 1999
- . حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري) ، مجلة الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ،عدد 1 سبتمبر 2001، .
- خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة الجزائر ط1، 2009
- عامر شارف ،مراسيم البوح ، دار الفجر بسكرة ، الجزائر ، ط 1 ، 2005
- عامر شارف ، شغف الكلام ، دار الفجر بسكرة ، الجزائر ، ط 1 ، 2008
- . عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، دراسات تطبيقية ، مسكيلياني للنشر و التوزيع ، تونس ، ط 1 ، 2011.
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ،مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط 5، 2004
- عبد الهادي الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ،بنغازي ليبيا ، ط 1، 2004
- مجموعة من الباحثين ، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، تقديم وتنسيق حافظ اسماعيل علوي ، عالم الكتب الحديث، ط 1 ،2010
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د ط ، د ت
- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للمهجر بنيته وأساليبه ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، القدس فلسمين 1628 هـ 2008 م
- أبو الوليد الباجي ، المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد التركي ، دار المغرب الإسلامي ،المغرب ، ط 2 ،1987
- يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ،الأبعاد المعرفية والجمالية الطبعة الأولى ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط 1 ، 1997